وممّا له دلالة واضحة، في هذا الصدد، ان وسائط الاعلام السوفياتية غطّت هاتين الزيارتين تغطية واسعة، وأُصدر، في اثر زيارة القدومي، بيان رسمي عن اجتماعه مع غروميكو طالب بتسوية في لبنان يجرى التفاوض في شأنها، باخلاص، ومن دون تدخل خارجي(٨٠).

غير انه من المفيد التذكير، مرة أخرى، بالتوجه السوفياتي الذي ظلت موسكو متمسّكة به ازاء موضوع الدولة الفلسطينية. ففي البيان الذي أُصدر في نهاية زيارة عرفات لموسكو في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥، لم يوافق الزعيم الفلسطيني، كما ذكرنا سابقاً، على ان ينضم الى الدعوة السوفياتية لاقامة دولة فلسطينية، لأن عبارتها كانت غامضة؛ اذ استعملت عبارة «أرض فلسطينية» بدلاً من الاراضي التي يجب ان تحرر، او «من على جميع الاراضي الفلسطينية»، كما كانت منظمة التحرير الفلسطينية تفضّل. وعلى كل حال، بقي الموقف السوفياتي، كما كان واضحاً في العديد من المقالات وغيرها التي تعلق بأن اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية كانتا تحاولان الاستفادة من الاحداث في لبنان كبرهان على استحالة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين ضمن إطار دولة واحدة. ولذلك، فان الوضع عينه يمكن ان يتكرر اذا ما وجدت دولة فلسطينية بجانب اسرائيل. لقد كانت موسكو تذكر هذا، من دون أية اشارة الى ما كانت تطرحه منظمة التحرير الفلسطينية من ضرورة قيام دولة علمانية ديمقراطية على أرض فلسطين. والأهم من هذا، ان الاتحاد السوفياتي واصل الطلب بوجوب انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة العام ١٩٦٧. وفي بياني الحكومة السوفياتية، في كانون الثاني (يناير) ونيسان (ابريل) ١٩٧٦، ارتبط هذا الطلب، بصورة وثيقة، بانشاء دولة فلسطينية. وان بيان نيسان (ابريل) شرح، فيما شرحه، ان مثل هذا الانسحاب لن يسترد، فقط، السيادة العربية على الاراضي التي تخصّ الفلسطينيين وحسب، بل يعطي الفرصة لامكانية التعبير عن تقرير دولتهم الخاصة أيضاً. ولقد كان العنصر الثالث في هذه المعادلة السوفياتية هو الوجود المضمون لاسرائيل ولاستقلالها وسيادتها، وحتى ضمان حدودها ضد الاختراق من المنطقة المحددة التي تنسحب منها لانشاء دولة فلسطين. والفكرة الاساس، هي ان تكون الدولة بجوار اسرائيل، لا ان تحل محلها، كما أكدته موسكو مراراً وتكراراً(٨١).

وبصورة مغايرة لهذا الموضوع، قلما كانت القدس تُذكر عند البحث في قيام الدولة الفلسطينية أو مسألة العلاقة مع الاردن. وفي الحقيقة، ان التقرير السوفياتي المرفوع الى مؤتمر الجزائر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣، او الى مؤتمر لاهور في شباط (فبراير) ١٩٧٤، اغفل القرارات التي تشير الى موضوع القدس. وكانت المناسبة الوحيدة التي ذكرت فيها القدس جاءت، على ما يبدو، عندما كان السوفيات يسعون لكسب ود الاردن، وبالذات عندما كانوا يطالبون اسرائيل بالتعويض عن خسائر العرب، بما فيها خسائر المملكة الاردنية من واردات السياحة الى القدس، أو عند انتقاد اتفاقية سيناء المصرية ـ الاسرائيلية. ويُستشف من تفسير أحد المسؤولين في الحزب الشيوعي الاردني بأن الدولة الفلسطينية يجب ان تنشأ، أولاً، على الارض المحررة، ومن ثم يُنظر في علاقاتها المستقبلية مع الاردن(٨٢). وفي حديث اجراه السفير السوفياتي لدى الاردن، في الخامس من آذار (مارس) ١٩٧٤، ذكر فيه انه يجب اجراء ترتيبات مع عمّان لدعم الجهود من أجل حصول الفلسطينيين على تقرير مصيرهم ضمن حدود العام ١٩٦٧. هذه البيانات السابقة لم تشر الى الفكرة الاردنية عن الاتحاد الفدرالي بين المملكة والدولة الفلسطينية، لكنها لم تكن استبعدت أيضاً. وعلى كل حال، ففي مقال كتبه تولكونوف، فيما بعد، في مجلة الحزب الشيوعي السوفياتي الرسمية «كومونست» استبعد فيها، بشكل شامل، اقتراح الملك حسين في العام ١٩٧٢ عن الحل الفدرالي، ذاكراً انه «خطة اميركية